الأدب اليـــابانى

للأستاذ أحمد الشنتناوى

كانت اليابان إلى عهد قريب محجوبة عن انظار العالم المتمدين بحجب كثيفة لايكاد المرء يتبين ماجرى ورائها بين أبناء تلك الأمة العظيمة من عادات وتقاليد. وكان الأدب الياباني نوع خاص من أغمض مظاهر الحضارة اليابانية أمام الباحث. ويرجع ذلك إلى صعوبة اللغة اليابانية وغرابة أحرفها الهجائية وعدم إقبال الأدباء والعلماء على تعلمها. مع أن الآداب اليابانية غنية فى مادتها متنوعة فى أبوابها، وتعد بحق بين الآداب العالمية الرائعة

وليس هناك أمة من الأمم تكون آدابها جزءا هاما من تاريخها مثل أمة اليابان، فأفراد الشعب هناك على اختلاف طبقاتهم يتغنون الشعر ويطربون لموسيقاه. بل هم شعراء بسليقتهم لافرق فى ذلك بين النساء والرجال: فالأمة كلها تشترك فى مهرجان الشعر الذى يقيمه الامبراطور كل عام، فيأخذ كل ياباني فى إنشاد أطيب ماجادت به قريحته. ويذكرون أن الامبراطور «ميدى» Meidi وهو جدميكادو اليابان الحالى كان يشجع هذه المهرجانات الشعرية. فيخصص الجوائز الثمينة للفائزين. وقد ألف هو نحو مائة ألف مقطوعة شعرية.

أما شغف اليابانى بباقى فروع الأدب فلايقل عن شغفه بالشعر. لهذا كانت الآداب اليابانية غنية فى مادتها رائعة فى أسلوبها انسانية فى معانيها، ولكن تلك الآداب العالية لم تتخط حدود اليابان الجغرافية لصعوبة اللغة التى كتبت بها. ثم زادمن صعوبة تلك اللغة دقة المعانى وعمق الأفكار التى حملها اياها اليابانيون. والتى لاتصدر الا من أبناء الشرق الصميمين فى مدنيتهم الشرقية. ويكفى أن نقول ان كلمة «امرأة» لها فى اللغة اليابانية مايزيد على أربعة وعشرين لفظا مرادفا. كل لفظ يستعمل فى حالة معينة وظروف خاصة حسب مكانة المرأة المخاطبة الاجتماعية أو الشخصية. أودرجة الاتصال بها. كذلك لفظة «أنت» لها مايقرب من اثنى عشر مرادفا: وهذا التعدد فى الألفاظ يدلنا على مقدار الدقة التى يتوخاها اليابانى فى تعبيراته الاجتماعية والأدبية. وليس هذا فى نظرنا دليلا على رقى اللغة أوغناها فقط. انما يدل كذلك على الشعور الدقيق والحساسية الراقية، والآداب العالية هى فى لبها وجوهرها احساس دقيق وشعور متدفق.

واذا كان فن التصوير الياباني له أثر واضح على الآثار الأوربية فاننا لم نسمع قط أن الآداب الغربية متأثرة بالآداب اليابانية. ولم يمنع هذا أن يكون العكس صحيحا. فالأدب الياباني غاص بالتراجم العديدة لكثير من الآداب الأوربية العالمية. فجميع المؤلفات القيمة من انجليزية وفرنسية وألمانية وروسية نقلت الى اللغة اليابانية. وهذا دليل واضح على تعلق هـــذا الشعب الناهض بالآداب على اختلاف منابعها.

والعصر الذهبى للآداب اليابانية الكلاسيكية هو عصر «هايين» Heian ٧٨٤ - ١١٨٦ الذى انعكس فيه الآداب اليابانية وطبعت فيه عدة قصص غرامية وتاريخية. كما أنه لم يخل من المشرات الأدبية الانتقادية. ولعل أهم مايلفت النظر فى ذلك العصر هو ظهور أديبتين يابانيتين شهيرتين وهما «موراساكى» Murasaki و «سى» Sei و موراساكى اسم ياباني معناه زهرة البنفسج وصاحبته أديبة فى أسلوبها فخامة وخلاوة وفلسفة لينة بينما «سى» ومعناها الدر تمتاز بشعورها الفياض وأسلوبها السهل الممتنع. وأشهر قصة لموراساكى: هى قصتها المسماة غنى Ghénji وهى وصف محكم وصورة طبق الأصل وملاحظات دقيقة مدهشة عن الحياة فى البلاط الياباني فى القرن الحادى عشر. وهى كثيرة الشبه بالحياة فى بلاط لويس الرابع عشر. وقد اتخذت لها بطلا سمته «غنى» وهو عبارة عن دون جوان آخر أى مخلوق حربكل معنى الكلمة. يأتى مايشاء من الأفعال دون النظر اذا كان مايأتيه يتمشى مع الاعتبارات الدينية أو الانسانية أو الاجتماعية أولايتمشى. انما كل همه ارضاء شهواته وملاذه. فكانت له عدة مخاطرات غرامية. وهذه القصة تعطيك صورة واضحة صادقة للحياة اليابانية الاجتماعية فى عهد «موراساكى». ولاتسل عن العذوبة والروعة التى كتبت بها الحوادث الغرامية التى خاض غمارها «غنى» وكل ذلك فى أدب وحشمة وتورع.

أما الأديبة الأخرى «سى» فكانت معاصرة لموراساكى وتعيش معها فى البلاط الياباني. ولقد عرفت بالكبرياء والصلابة فى رأيها. وكتاباتها ملأى بالنقد والتجريح. كذلك كانت لها قدرة على وصف الطبيعة وما بها من حيوان وطير وصفا بليغا دقيقا

ولنذكر هنا قطعة لها تصور فى وصف فصول السنة الأربعة قالت:

ان الذى يسحرنى فى الربيع هو الفجر يتبادى فى مشيته على قمم الجبال. بينما كل شىء يضىء رويدا رويدا. وقطع السحاب اللازوردية تسبح فى الفضاء جماعات جماعات.....

أما فى الصيف فالذى يسحرنى فيه هو الليل .. يجلى منه القمر المنير..! وتسحرنى الليلة الليلاء. حيث يطير فى جوها الحالك الحباحب المشعة هنا وهنالك.. واذا تساقط المطر فى تلك الليلة فانه يزيد فى جمالها وسحرها.

والذى يسحرنى فى الخريف هو الماء عند ما ترقد الشمس فى مغربها مرسلة سهامها الليلية نحو قمم الجبال العالية . فتسرع الغربان نحو أعشاشها تطير جماعات مثنى وثلاث ورباع ! حقا إنه منظر فيه حزن وجمال . . . . وما أجمل المنظر وأبهاه اذ لاح فى الأفق البعيد سرب من الطيور البرية الصغيرة ! . . بعد ذلك تختفى الشمس وتزأر الرياح وتخرج الهوام والحشرات من مخابئها صائحة مهللة . كل ذلك مما يهيج فى النفس المالذيذا . . . والذى يسحرنى فى الشتاء هو سقوط الثلج اذا ما تنفس الصباح ، فتكتسى منه الأرض حلة بيضاء ناصعة . وعندما يقر البرد تتوقد النيران للتدفئة ، حتى اذا ما انتصف النهار وخمدت وطأة البرد ترى جمرات النار وقد تحولت الى رماد أبيض . وذلك هو الحزن بعينه . . . ! »

وفى القرون الأربعة التى أعقبت عصر (هايين) نجد القصة والشعر اليابانى لا ينتقلان من مكانهما بعيدا . الا أننا نجد هما يتأثران كثيرا بالفلسفة البوذية ، فينمش الأدب التاريخى ويولد الأدب المسرحى فى اليابان . وأبطاله « كابوكى » Kabouki و « نو » No . وفى عام ١٦٤٢ يظهر فى سماء الأدب اليابانى « سيكا كو » Saikakou وهو أستاذ الأدب الواقعى فى اليابان ، وقد خلف هذا الأديب مؤلفات وافرة وتلاميذ كثيرين وكانت الآداب اليابانية قبل عهده تعد فى جملتها آدابا أرستقراطية كتبت لخواص الناس وأهل الثقافة منهم ، فأتى سيكا كو وجعل من الأدب اليابانى أداة للافصاح عن مشاعر الانسانية وعواطفها وهمومها وأحزانها أى تلك النواحى العامة التى قد يشعر بها رجل الطريق قبل أن يشعر بها رب الجاه والسلطان . وهو فى وصفه وتحليله لتلك العواطف الانسانية راعى الدقة التى يلاحظها الباحث فى وصفه لورعه أو عالم الحيوان فى دراسته لحشرة من الحشرات . وتظهر هذه المقدرة بأجلى بيان فى قصته المسماة « حياة امرأة » وصف فيها سيكا كو كيف تكون حياة المرأة الخليعة المشهورة التى لا يهمها من عيشتها الا اشباع شهواتها وقضاء ملاذها ، ولكن حياة الدعارة والمجون نهايتها دائما محزنة مبكية فترى فى نهاية القصة تلك المرأة التى كانت بالأمس زينة المجالس وبهجة الناظرين تهجر العالم بعد أن عضها البؤس بنابه ، وتنزوى بين منعطفات الجبال فى كوخ حقير من القش والخرق البالية . . . !

ولعل « تيكاماتسو » Tikamtsou أشهر كاتب درامى فى اليابان . فهو يعد بحق شكسبير الأدب اليابانى . ولكنه اقتصر فى مؤلفاته على الاشادة بذكر العواطف الانسانية العالية وتحليلها كالحب والشرف والاخلاص والعفاف . ويعده البعض بين زمرة الشعراء لأن رواياته كتبها كلها نظما ولكننا لا ننسى أن معظم كتاب اليابان الأقدمين كتبوا آثارهم شعرا لأنهم عشقوا الشعر وطربوا لأنغامه الموسيقية فألهمهم ذلك عن كل شىء آخر . « وتيكاماتسو » هذا خالق الدرامة اليابانية التى تصف الحياة اليومية وتتغلغل فى أعماقها وتكشف عما بها من محاسن ومعايب . وتعبر عما تختلج به قلوب الآلاف من المظلومين والمساكين

ظل الحال على هذا المنوال حتى الثورة اليابانية التى شب لظاها عام ١٨٦٧ والتى يرجع سببها الى الروح الغربية التى بدأت تتسرب الى بلاد اليابان الهادئة المطمئنة حوالى ذلك الوقت . فتأثرت الآداب اليابانية كما تأثر الفن اليابانى . كذلك لم يسلم من هذا التيار الجديد الحياة الاجتماعية نفسها . فتغير سلوك الفرد ونظام الأسرة ، حتى المساكن وأنواع الأطعمة دخل عليها شىء كثير من التعديل والتغيير . وغذى المجتمع اليابانى شىء آخر جديد مغاير لليابان إبان عهد هايين أوسيكا كو . وبدأ الشعب اليابانى يقف على مسرح الحياة بنفسه بعد أن كان الى هذا العهد مشاهدا متفرجا لما يقع بين ظهرانيه . اذ بعد أن هدأ تيار الثورة وخمدت الحروب الأهلية حوالى سنة ١٨٨٠ ظهر فى الأفق شعاع جديد لامع يبشر بمستقبل أدبى جديد لم تلبث أن أشرقت فى أثره شمس الآداب اليابانية الحديثة وهى موضوع الكلام فى مقالنا الثانى ان شاء الله ؟

حافظ وشـــوقى

للدكتور طه حسين

ظهر هذا الكتاب القيم حديثاً وهو مجموعة ما أنشأه الدكتور فى هذا الموضوع الطريف . طبع طبعاً حسناً على ورق صقيل فى زهاء ٢٥٠ صفحة . يباع فى المكتبة التجارية لصاحبها مصطفى محمد . وثمنه ١٠ قروش .

فى الصيف

للدكتور طه حسين

يبيعه شباب القرش لفائدة مشروعهم

اطلبه من جمعية القرش ٤٥ شارع عابدين تليفون ٥٧٢١٦

ثمن النسخة ١٠ قروش وللجملة ثمن خاص